٥- إهمال التربية الإيمانية المبكرة

من الأسباب التي أسهمت في فساد أبناء الملتزمين تجاهل التربية الإيمانيةالمبكرة، أي عدم غرس العقيدة النقية الصحيحة في قلب الطفل، وعدم إرساء معاني المراقبة والخوف من الله في السن المبكر، لتكون له مناعة ضد الانحرافات.

«إن التربية هي المدخل الأساسي والضروري لأي حركة إسلامية تعمل على تغيير الواقع بتغيير ما بالأنفس، والذي أركز عليه هنا، في مجال العمل التربوي هو تكوين الطليعة المسلمة المرجوة لنصرة الإسلام، والتي تمثل في عصرنا دور الصحابة في عصر النبوة»[(١)].

فالتربية الإيمانية القائمة على العقيدة هي حماية للأمة فأبناء الإسلام اليوم يحاك لهم من الأعداء من المؤامرات ما لا يحصى ولا يعد لإفساد هم، «وهذه التربية الإيمانية.... هي التي يلح عليها كبار علماء التربية والأخلاق في بلاد الغرب لتحرر المجتمع من الإلحاد

(١) الشيخ يوسف القرضاوي من مقال «التربية الإيمانية هي الأساس».

والرذيلة والميوعة والجريمة، وإليكم طرفًا من أقوالهم (فإن هؤلاء الآباء الذين كانوا يسألون كيف ينمون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لا حل لها، فلم يوجد بعد ذلك الدليل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخلقي الإلهي في قلوب الناس...)[١].

ولقد أثبتت التجارب التربوية أن خير وسائل استقامة السلوك الإنساني هي التربية القائمة على عقيدةصحيحة فـ« نحن في أيامنا هذه أحوج ما نكون إلى ترسيخ هذه المعاني حيث إن ما يسمعه الطفل ويراد في كثير من وسائل الإعلام بات خاليًا من هذه الأمور الجوهرية، وحيث يجتاح العالم موجات اللهو والمرح واللعب والقصص والأعمال الدرامية التي شغلت أذهان الناشئة بكل شيء إلا قضية التوحيد وقضية الهدف الأكبر من الوجود!!»[٢].

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[١٢٥] بتصرف.
(٢) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[٢٦].

وانظر إلى المجتمع الأمريكي حين غلبت في نفسه روح العقيدة وانسلخ منها «فقد منعت الحكومة الأمريكية الخمر، وطاردتها من البلاد واستعملت جميع الوسائل لبيان مضارها ومفاسدها ولكن لم يزد الأمة الأمريكية إلا غرامًا بالخمر وعنادًا في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة عام ١٩٣٣م إلى سحب القانون وإباحة الخمر في مملكتها إباحة مطلقة»[(١)].

الغرس المبكر:

فلابد أن تكون التربية الإيمانية مبكرة، حتى نضع اللبنة في مكانها الصحيح ونصنع لهم مناعة إيمانية تبقى معهم أبد الدهر.

وقال ابن الجوزي في التربية المبكرة: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعبًا».

قد ينفع الأب الأولاد في الصغر ... وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ... ولا تلين ولو لينته الخشب

«يتعلم الطفل في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، فإن العادات يمكن أن يكتسبها بسهولة كلما كانت سنه أصغر، فإن

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» ص[٨٤]، باختصار وتصرف.

٩٠٪ من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى، كما أن الطفل في هذه الفترة لا يميل إلى إرضاء والده ويحاول أن يخرج منه بعبارات الثناء والإعجاب»[١].

«فتربية الأولاد تبدأ مبكرة جدًا عما نتخيل؛ لأن أغلب الناس تنظر إلى الطفل من ناحية نموه الجسدي... وبعض الناس لا يلتفت إلى مسألة التربية إلا بعدما يكبر الولد ويتعدى الثانية عشرة من عمره، وهذه خسارة ما بعدها خسارة؛ لأن نفسية الطفل وشخصيته تتشكل وتوضع البذرة الأولى لها في الخمس سنوات الأولى... وهذه المرحلة حقها أن تحظى بأكبر قدر من العناية، لكنها تحظى بأكبر قدر من اللامبالاة»[٢].

أهمية التربية المبكرة علميًا[٣]:

١- ما أكدت عليه الغالبية العظمى من الدراسات والبحوث في مجال علم نفس النمو من أن قسمًا كبيرًا من النمو العقلي واللغوي للطفل ونمو ذكائه وتفكيره يتم خلال الأعوام القليلة الأولى من عمره.

(١) «مسؤولية الأب المسلم» عدنان باحارث ص[٨١].

(٢) «محو الأمية التربوية» د.محمد إسماعيل.

(٣) Julfkids.com د.ليلى كمال الدين.

٢- إن حصول الطفل على رعاية وتربية وتنمية ذات مستوى عال خلال الأعوام القليلة الأولى من عمره ليصل ويحقق أقصى ما لديه من قدرات.

٣- يبني الأساس الأول للضمير الإنساني خلال السنوات القليلة الأولى من عمر الطفل مما يجعل الطفل يعرف ويميز الصواب من الخطأ.

برنامج عملي للتربية الإيمانية المبكرة[١]:

١- تعويد الطفل منذ بلوغه عامين على كلمة التوحيد، وكثرة ترديدها في كل مناسبة حتى تترسخ هذه الكلمة في لسانه وقلبه.

٢- التربية العقدية عن طريق تعريفه بالله ونعمه عليه والشكر عليها كي يرتبط قلب الصبي بربه فيعظمه، وإرشاد الطفل للإيمان بالله وقدرته المعجزة وإبداعه، واستغلال الفرص لإجراء حوار مناسب يلائم عقل الصغير لإيصال هذه المعاني إليه، أيضًا عدم

(١) «بناء مستقبل الأمة» شريف عبد العزيز الزهيري، باختصار وتصرف، «تربية الأولاد في الإسلام» ص[١١٦].

إهمال أي سؤال من الطفل في جانب العقيدة، والعمل على تبسيط الإجابات دون تعمق فيها، كي لا يشتت ذهنه، وكي يصل للإجابة المطلوبة، مثال ذلك ما كان من سؤال طفل لمربيه لماذا لا أكون إلهًا؟

وربما يصعق المربي من هذا السؤال، ولكن الأخ الفاضل المربي قال له: إن الله عَزَّوَجَلَّ له سمع وبصر محيط بكل شيء، فهل تستطيع أنت أن تفعل ذلك؟ فقال الولد: الآن فهمت.

أيضًا نعرفه بوجود الملائكة وأننا لا نراهم وأن لهم وظائف وربما يظن البعض أن ذلك الأمر يصعب فهمه على الطفل، وقد أورد الغزالي نصًا ينفي ذلك «واعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظًا، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم».

وأضف أيضًا إلى التربية العقدية توضيح الإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر مع تبسيط المفاهيم والمصطلحات.

أخي الفاضل، لا شك أن التربية العقدية من الأهمية بمكان فمما يروى أن الجعد بن درهم كان رجلًا منحرف العقيدة، ضالًا،

وكان أستاذ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فكانت التربية من إنسان فاسد العقيدة سببًا من أسباب سقوط هذه الدولة.

٣- تعريفه أول ما يعقل من أحكام الحلال والحرام لكي يرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة مع بيان جزاء الحلال وجزاء الحرام لكي يكون عن اقتناع مع تبسيط المفاهيم له قدر الإمكان

٤- العمل على غرس روح التقوى لمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ في كل تصرفاته وذلك عن طريق قراءة بعض آيات القرآن التي تتحدث عن معية الله وجزاء المتقين وأثر الخشوع متأسيًا في ذلك بالرسول عندما علَّم ابن عباس وهو غلام يركب خلفه، ويمكن استخدام الترغيب والترهيب لمن يفعل شيئًا يحبه الله أو شيئًا يبغضه،... مع مراعاة عدم الإفراط في هذا الأسلوب كي لا تختل شخصية الطفل.

وإليكم هذه القصة التي ذكرها الإمام الغزالي في إحيائه تبين أهمية التربية الإيمانية وزرع التقوى والخشية من الله في نفس الطفل (قال سهل بن عبد الله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي «محمد بن سوار» فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند

تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه، وناظرًا إليه وشاهده... أيعصيه؟! إياك والمعصية...) وأصبح سهل من أكبر العارفين بالله.

٥- أمره بالعبادات وهذا تنفيذًا لوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ...**»[(١)] والطفل حتى سن البلوغ غير مطالب بأداء العبادات وجوبًا، بل يؤديها على سبيل الاعتياد والتدريب فيسهل عليه أداء العبادات عند بلوغه؛ لأنها قد أصبحت بحكم العادة جزءًا من نظام حياته كالأكل والنوم، لا يستطيع التخلي عنه وهو ما يقول عنه العلماء «التربية بالعادة».

(١) «سنن أبي داود» [٤٩٥].

٦- زرع حب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قلوبهم، وذلك يتم عن طريق:

(أ) بيان أن الرسول هو القدوة الأعلى لكل البشرية وسرد سيرته بصورة مشوقة ومبسطة.

(ب) بيان أن طاعة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هي عنوان لطاعة الله.

(جـ) تعليمهم غزوات رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسير الصحابة الكرام.

٧- يجب أن تربيه على حفظ وتلاوة القرآن الكريم؛ فإن للقرآن تأثيرًا على النفس البشرية، وكلما صفت زاد التأثير، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته ما زالت نقية، لكنه لا يدرك معاني الآيات ولا يتأثر بها إلا من خلال ناقل، وهذا الناقل يمكن أن يكون الأب أو الأم، فالطفل الذي يرى والده يبكي عند قراءة القرآن ويتأثر بالآيات تنطبع هذه الصورة في مخيلته طوال حياته ويتأثر مع والده، ويبكي لبكائه، وعندما يكبر ويعقل يدرك سر بكاء أبيه.

من الممكن أن يدور ببال أحدنا أن كل هذا الكلام معروف، ولكن يحق لي أن أسأل هل طبقنا المعروف؟! وإذا طبق فهل طبقناه بطريقة صحيحة؟!